في القطاع الفلسطيني داخل «الخط الاخضر»، أو في الاراضي العربية المحتلة العام ١٩٦٧، خلال السنـوات الاربعين من الاحتلال، فان السؤال المحوري الذي تثيره موجة الهجرة الجماعية ليهود الاتحاد السوفياتي، حيث وصل حوالى مئتي ألف مهاجر خلال العام ١٩٩٠، ويتوقع نحو ٧٥٠ ألفاً خلال السنوات الخمس المقبلة، هو هل هناك توقع بأن تغيّر هذه الموجة من شكل واتجاهات وديمغرافية المنظومة الاستيطانية السابقة؟

هجرة اليهود السوفيات واتجاهات الاستيطان المستقبلية

يأمل منفّذو سياسة الاستيطان في ان تقدّم الهجرة اليهودية السوفياتية المادة الخام والاعداد اللازمة لتنفيذ مشاريع الاستيطان الضخمة المعدّة للقطاع الفلسطيني داخل «الخط الاخضر»، أو في الاراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧. وتسعى السلطات الاسرائيلية، وفق خطة وزارة الداخلية، اضافة ما لا يقل عن ١٨١ الف مستوطن، خلال الفترة ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥، في الجليل (زاد عدد اليهود بنحو ٩٥ الفاً في القطاع الشمالي خلال الفترة ١٩٧٢ ـ ١٩٨٥)[١١]، وتوطين نحو ٤٠٠ الف مستوطن بحلول العام ٢٠٠٠، ورفع العدد الى ٧٥٠ ألفاً بحلول العام ٢٠١٠ في الضفة الفلسطينية[١٢]. وفي ما يتعلق بقطاع غزة، تهدف دائرة الاستيطان في المنظمة الصهيونية العالمية الى توطين نحو خمسة آلاف عائلة يهودية بحلول نهاية القرن العشرين[١٣].

تُظهر الرؤية المتبصرة الى تاريخ المنظومة الاستيطانية، على مدار السنوات السابقة، ان نماذج سنـوات ما قبل العام ١٩٤٨، وما بعدها، ليست ملائمة للتسعينات. كما انها لا تفسح في المجال للتفاؤل الزائد على الحد في تغيير اتجاهات، وكثافة، هذه المنظومة بشكل جوهري. فالبشر، عموماً، ومن ضمنهم اليهود السوفيات الذين أتوا أساساً من مدن حضرية وصناعية، لا يميلون الى هجرة المراكز والمدن الحضرية الاسرائيلية للاقامة في الاطراف الهامشية. فالخروج الى الاطراف هو سمة الجماعات الصغيرة جداً (الرائدة عموماً) التي لا تستطيع ان ترجّح الكفة من الناحية الاستيطانية، أو الديمغرافية.

تختلف الموجة الحالية من الهجرة اليهودية السوفياتية عن سابقاتها. فالقادمون الجدد ليسوا من جيل «الرواد الاوائل» او المنشقين والمعارضين للحكم الشيوعي، أو من «الرواد» المتحمسين للدولة العبرية والاحلام الصهيونية، بل انهم يذهبون الى اسرائيل قسراً، بعد ان أُغلقت أمامهم أبواب الهجرة الى الغـرب، تحت الضغـوط الاسرائيليـة. فوفقاً لمعطيات الهجرة العام ١٩٨٩، هاجر من الاتحاد السوفياتي، ودول أوروبا الشرقية، نحو ٢٣٥ الف يهودي، كانت وجهتهم الاساسية الولايات المتحدة الاميركية والدول الاوروبية، ونسبة من توجهوا الى اسرائيل كانت ١٨ بالمئة فقط. أمّا الآن، فان اليهود السوفيات يذهبون الى اسرائيل لانعدام الخيار أمامهم.

ووفقاً للخلفية العلمية والمهنية للمهاجرين الجدد (يحمل نحو ٥٤ بالمئة من مجموع من وصلوا خلال العام ١٩٩٠، درجات جامعية واكاديمية)، فان السواد الاعظم منهم سيفضّل الاستقرار في المدن الاسرائيلية الكبرى، أو في ضواحيها، لاعتبارات اقتصادية بسيطة، مثل شراء منازل بأسعار معقولة وعلى مسافة مريحة للانتقال يومياً الى أماكن العمل. وفرصة الاستيطان الحقيقية للمهاجرين الجدد حتى العام ٢٠٠٠، هي في أماكن تقع على بُعد ٣٠ ـ ٥٠ كم من مراكز المدن الكبرى، أي مسافة خمس دقائق من كفار سابا، وخمس دقائق من القدس، على جانبي «الخط الاخضر» في «منطقة الطلب المـرتفع»، ومناطق تيفن وسيغف (وهي القطاع الذي يسمّى قطاع العلم لعام ٢٠٠٠)، وخصوصاً